

المحاضرة الرابعة: الصناعة المعجمية عند العرب

عرفت الصناعة المعجمية عند العرب منذ حوالي منتصف القرن الثاني الهجري، بظهور أول معجم شامل وهو "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي يعدّ المبتكر الأول في التأليف المعجمي، فكيف تطورت الصناعة المعجمية عند العرب؟ وما هي أهم طرق الترتيب التي اعتمدها العلماء القدماء؟

- يعتمد التأليف المعجمي أو الصناعة المعجمية على عنصرين هامين هما الجمع والترتيب، ويقصد بالجمع جمع المادة اللغوية تمهيدا لتأليف المعجم، وأمّا الترتيب فهو اختيار المداخل وترتيبها وفق نظام تصنيف معين، وقد عرفت العربية نظامين في ترتيب حروفها هما:

أ- النظام الهجائي:

- الترتيب الألف بائي: الذي وضعه (نصر بن عاصم): وما زال يستخدم بصورة واسعة كونه أيسر أنظمة التصنيف وهو: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، ه، ي. وهو المعتمد عليه في الصناعة المعجمية الحديثة.

- أو الترتيب الأبجدي: ويستعمل على نطاق ضيق، وتجمع الحروف فيه هكذا (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضطغ) «¹.

ب- النظام الصوتي: وينسب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، الذي قام بترتيب الحروف حسب مخرجها من أقصى الحلق إلى الشقين، وقد رتبها كما يلي: الحلفية (ع ح هـ خ غ)، اللهوية (ق ك)، الشجرية (ج ش ض)، الأسلية (ص س ز)، النطعية (ط د ت)، اللثوية (ظ ذ ث)، الذلقية (ر ل ن)، الشفوية (ف ب م)، الهوائية (و ا ي).

2- أنظمة ترتيب المعاجم اللغوية العربية: عرفت المعاجم العربية التراثية طرقا مختلفة في الترتيب، بحيث تصلح هذه الطرق معيارا في تقسيم هذه المعاجم إلى مدارس مختلفة هي:

1- مدرسة التقليلات الصوتية:

يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد الصناعة المعجمية العربية، فهو صاحب أول معجم شامل في تاريخ اللغة العربية، وهو معجم (العين)، حاول فيه استقصاء وجمع مدونة كبرى تضمّ كلام العرب كلّها، وهو ما لا يمكن أن يتم إلا من خلال فكر رياضي أصيل، بابتكاره لنظام تصنيفي، وذلك بـ:

- ابتكاره لنظام التقليلات، عن طريق قلب الأصل اللغوي بأبعد الحروف مخرجا، ثم يتبعه بما يليه في المخرج، إلى أن ينتهي بما مخرجه من الشفتين؛ فهو يبدأ بالحروف الحلقية، ثم ينتهي بالشفوية، فمثلا: الأصل اللغوي الذي يتكون من الأحرف الثلاثة (ب ر ع) يكون له تقليلات ستة، ثم يحدّد المستعمل منها في العربية من المهمل غير المستعمل.

¹ علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص 32.

- اعتماده على أبنية المفردات اللغوية العربية لكي يسهل عليه حصر مفردات العربية، التي حددها في 5 مبان هي: الثنائي مثل: قد، وهل، ولم، والثلاثي مثل: ضرب، خرج، عمر وجمل والرباعي مثل: دحرج وقرطس وعقرب، وغيرها والخماسي مثل: سفرجل.

- قسم الخليل معجمه إلى كتب بحسب عدد الحروف العربية، وقد بدأها بحرف "العين"، ومنه فقد خالف الترتيب الألفبائي المشهور، إلى الترتيب الصوتي عن طريق فكرة ذوق الحرف قال سيبويه: "قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتهم أن تلفظوا بالكاف التي في "لك" والكاف التي في "مالك" والباء التي في "ضرب" فقبل له نقول: باء، كاف، فقال: إنَّما جنَّتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف".

وتبع الخليل في ترتيبه الصوتي، عدد من اللغويين العرب، ومن أبرزهم:

- أبو علي القالي (356 هـ) في البارع في اللغة.

- أبو منصور الأزهري (370 هـ) في تهذيب اللغة.

- صاحب بن عباد (385 هـ) في المحيط في اللغة.

- أبو بكر الزبيدي (379 هـ) في مختصر العين.

- ابن سيده (458 هـ) في المحكم والمحيط الأعظم.

2-مدرسة التقلبيات الهجائية:

تضمّ هذه المدرسة ثلاثة معجمات، هي جمهرة اللغة لابن دريد في القرن الثالث ومقاييس ابن فارس ومجمله من القرن الرابع، وكان أول غرض لها تجنب النظام الذي سارت عليه المدرسة السابقة، لما فيه من عسر ومشقة على القراء، فأهملت ترتيب الحروف على المخارج، وتمسكت بالترتيب الألف بائي الذي قال عنه ابن دريد: «إذا كانت الحروف المرتبة على الألف باء بالقلوب أعقب وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة، مشفيا على المراد» وقد اعتمد منهاجا يقوم على:

- قسّم كتابه بحسب الأبنية فكلّ كتاب مقسّم عنده إلى الثنائي المضاعف وما يلحق به، فالثلاثي وما يلحق به، فالرباعي وما يلحق به، فالخماسي وما يلحق به، وقد ألحق بهذه الأبواب أبوابا للفيف فأبوابا للنوادر.

- تقسيم كل بناء إلى أبواب وفقا للترتيب الألف بائي.

- وعليه يمكن تصوّر طريقة البحث عن الكلمة في جمهرة اللغة لابن دريد كالتالي:

• تجريد الكلمة من الزوائد.

• تحديد البناء الذي تنتمي إليه.

• البحث عنها تحت أول حروفها على الترتيب الألف بائي.

وتبع ابن دريد في هذا المنهج، أو الحسين أحمد بن فارس القزويني (329 هـ-395 هـ) في كلّ من مقاييس اللغة ومجمل اللغة. إلاّ أنّه قسّم كتابه (المقاييس) إلى كتب حسب الحروف وفق الترتيب الألف بائي،

ثمّ قسّم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب بحسب الأبنية (الثنائي، فالثلاثي، فما زاد على الثلاثي) كما اعتمد نظام التقلّيات.